النظام الفلسطيني والنظم الاقليمية

Kirisci, Kemal; *The PLO and World Politics; A Study of the Mobilization of Support for the Palestinian Cause,* New York: St Martin's Press, 1986, 198 Pages.

ثمّة اسباب عديدة تدعونا الى الاحتفاء بقيام دار نشر اميركية عريقة باصدار اطروحة عن منظمة التحرير الفلسطينية والسياسة الدولية؛ وهي اطروحة قدّمها صاحبها لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة سيتي البريطانية. وأول هذه الاسباب، في رأينا، ان نشر هذه الدراسة يتيح للقارىء الاجنبي أكبر قدر من المعرفة بابعاد النزاع العربي ـ الاسرائيلي، وبأكبر قدر ممكن من العمق. والسبب الثاني، هو تلك القطيعة الحازمة التي يسجلها المؤلف مع المنحى التاريخي في دراسة العلاقات الدولية، حيث لا يكتفي بتلك القطيعة لوحدها، وانما يخصص قسماً يعتد به من الكتاب لتفصيل منهجه بدقة، متخطياً رتابة السرد التاريخي غير الفاعل. ولا يقل السبب الثالث أهمية، برأينا، عن السببين اللذين سبقاه، وهو تبنّي الكاتب منهجاً غاية في الحداثة، وهو يشكل، اليوم، على أبواب عقد التسعينات، آخر ما تتداوله الاوساط العلمية والجامعية في هذا الميدان، ألا وهو التحليل المنظومي. أما السبب الاخير، فهو تطبيق الكاتب هذا المنهج على مستوى محدد، طال اغفاله من غير وجه حق، أي مستوى الوحدات الاقليمية، وهو مستوى يتوسط بين النظام الدولي الشامل وبين مسلك الدول في تحركها الخارجي.

وفي اطار المنهج الذي تبنّاه الكاتب، قسم دراسته الى تسعة فصول. استعرض الفصل الاول «جردة» مختصرة للتطورات التاريخية للقضية الفلسطينية، من جهة، وتحليل موجز للتعريف بمشكلة البحث، وفروض الدراسة ومنهاجيتها، من جهة أخرى. ونقطة الانطلاق لديه ما جرى في الوعي اليهودي من تغيرات، في نهاية القرن التاسع عشر، الذي بدأ يتطلع الى قيام دولة تجمع الشتات؛ وجدت تعبيرها، لاحقاً، عند ثيودور هرتسل في العام ١٨٩٦. وقد تبلور هذا المفهوم، بصورة ناجزة، في العام ١٩١٧، عندما أصدر وزير الخارجية البريطانية تصريحه المعروف بـ «وعد بلفور»، معلناً فيه ان بريطانيا تنظر بعين العطف الى قامة «وطن قومي يهودي» في فلسطين. وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٢٣، اكتسب الانتداب البريطاني الولاية القانونية على فلسطين. وبات من المسلّم به ان صك الانتداب كان القوة الدافعة الرئيسة الى تنفيذ « وعد بلفور» واقامة « الوطن القومي اليهودي». وكرر ونستون تشرشل، بعد ذلك ببضع سنين، ان هذا كان، وبحق، هو الهدف، عندما قال، ان الغرض من الكتاب الابيض العام ١٩٢٢، هو «توضيح ان انشاء مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين، ستخضع للتعهد والالتزام الاسمى بانشاء ' وطن قومي يهودي ' في فلسطين».

ازاء هذا الجهد المتّسم بالاصرار، والمتفق عليه بين دولة منتدبة ومنظمة يهودية اثبتت قدرتها وفاعليتها، رفض الفلسطينيون قبول هذه الخطة، ورفضوا، كذلك، الانضمام الى خطة تشرشل لتشكيل مجلس تشريعي لتعزيزها، واحتجوا على السياسة التي تعزز الجهود الرامية الى انشاء «وطن قومي يهودي» في فلسطين. ولم تغير السنوات اللاحقة هذا التوجه، فدخلت الامم المتحدة طرفاً في النزاع، مقترحة، في العام ١٩٤٧، خطة للتقسيم اسفرت، هي نفسها، في العام اللاحق، عن قيام اسرائيل.

على الجانب الفلسطيني، بدأت ارهاصات العمل المستقل في الظهور، بشكل تدريجي بطيء، وبدأ